

سيمائية العتبات النصية الخارجية في رواية "اليوم الموعود"،
لنجيب الكيلاني—أنمودجا.

Semiotics of external textual thresholds in Najib Al-Kilani's novel "The Promised Day" as a model

ط/د. خليدة خروبي¹

أ/د. زين الدين مختاري^{*}

تاريخ النشر: 2021 / 06 / 30	تاريخ القبول: 2021 / 04 / 10	تاريخ الإرسال: 2021/04/06
-----------------------------	------------------------------	---------------------------

الملخص:

يعتبر نجيب الكيلاني روائي ومفكر، ولذا فقد عمد في كتاباته الروائية إلى خدمة قضايا تخص قضايا كل من الإنسانية والدين، ومركزا في ذلك على أفكار تبناها في رواياته، ولا يكاد المطلع عليها حين يقرأها يفهم مقاصدها ومراميها الهادفة، ورواية اليوم الموعود صورة حية نابضة بالنضال والمقاومة، تحمل في طياتها رسائل مشفرة تخص كل زمان ومكان، وهذا ما اهتمت به في دراسة العتبات النصية الخارجية في فك رموز الرواية وانتماءها المضموني، وتنوير الغامض في مقاصدها باعتبارها ملحمة من الملاحم التي خلّدت نضال الشعب المصري ضدّ الحملات الصليبية على مصر.

الكلمات المفتاحية: العنونة، النص الروائي، سيمائية، نجيب الكيلاني.

Abstract

Najib al-Kilani is a novelist and thinker who, in his novels, has served issues concerning humanity and religion, focusing on ideas he adopted in his novels.

المؤلف المرسل: خليدة خروبي. kherroubikhalida5@gmail.com

¹ مخبر تعريب المصطلح في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد/ تلمسان،

. kherroubikhalida5@gmail.com

^{*} جامعة أبو بكر بلقايد — تلمسان، Zinemokhtari1908@gmail.com.

The one reading his novels can hardly understand its purposes and objectives. "The promised day" novel is a vivid and vibrant image of struggle and resistance. It carries encrypted messages about every time and space. This is what I was interested in when studying the external textual thresholds to decipher the novel and its content affiliation, as well as enlightening the mysterious in its purposes as one epic that immortalized the Egyptian people's struggle against the crusades over Egypt.

Keywords: Narrative. text, semiotics, Najib Al-Kilani .

*** **

مقدمة:

تعدّ رواية " اليوم الموعود" من الروايات التي أعادت سرد التّاريخ في صورة أكثر تجديدا في قالب روائي أدبي، تستمد مادّتها الدسمة من التّاريخ؛ لذلك فالتاريخ في نظر نجيب الكيلاني يمدّنا بالوقائع الثابتة؛ ويفرض على الفن روحه وأجواءه الخاصّة، فما تحمله صفحات هذا البحث في طياتها قراءة لعتبات النّص الروائي الخارجية، وما تحمله من دلالات وإيحاءات تترجم هوية العمل الروائي، ومدى علاقة هذه العتبات بالمضمون السردي، مفصلة في فك الغموض عن جملة من الإشكاليات التالية، والتي تعتبر هي قارب البحث ويكون سفينة البحث للتوقف على شواطئ الحقيقة المعرفية وهي كالآتي:

- ماذا تحمل العتبة الأولى للرواية عند الكيلاني؟ وما علاقة العنونة بالمضمون السردي؟ وما هي الشفرات التي حملتها العتبات النصية الخارجية في تبليغ مرامي السارد؟.

ا.مضمون الرواية:

1- الشخصيات التاريخية:

- * الملك الصالح نجم الدين أيوب.
- * شجرة الدر.
- * فخر الدين بن شيخ الشيوخ.
- * توارن شاه.
- * الملك لويس التاسع.
- * الأمير دارتوا شقيق الملك لويس.

* الجندي مارسيل.

* البطيريك روبرت.

2- الشخصيات الموضوعية:

* عدنان بن المنذر.

* زمردة.

* عبد الأعلى بن سليمان.

* ياقوته الغجرية¹

إنَّ هيكل الرواية يحمل الشخصيات الموضوعية والتي بدورها تمثّل لنا المنز الذي رغب فيه الكيلاني غير مشوه للحقائق حيث يقول في ما تضمنه كلامه: "وإذا كانت كتب التاريخ لم تحرص على تسجيل الأسماء، فلن نجد عن الحقيقة أو الأمانة التاريخية إذا ما لجأنا نحن إلى الشخصيات الموضوعية، وإلى جانب الشخصيات الحقيقية التي ورد ذكرها في بطون الأسفار"²، فالهدف الأساسي حسب رأيه من تأليف قصة الرواية محاولة منه مناقشة قضايا مهمّة، كقضية الدين والحروب، ومطامع المغامرين وعشاق المجد، وحقيقة الحياة وأهدافها؛ متخذاً من قصة الكفاح العربي الرائع مع الغزاة القادمين من الغرب مسرحاً لذلك"³، فما قدمه ملحمة من الملامح التاريخية التي تخلد رفض الظلم والاستيطان والعبودية، فالوطن يمثل الهوية التي ينتمي إليها كل فرد من أفراد المجتمع تحكي الرواية أحداث الحروب الصليبية على مصر، وبالتحديد الحملة السابعة يصوّر من خلالها الكيلاني ليس فقط الأطماع الخارجية للغزاة على مصر، بل تخوض معركة شرسة ضدّ التمرد والطغيان الداخلي من طرف ابن الملك الصالح "نجم الدين أيوب"، "توران شاه" مصوّراً تفاصيل هذا الصراع المتضارب في حقبة تاريخية مهمّة مرّت بها بلاد النيل، معتمداً أسلوب التنوع في اختيار شخصياته بين ملك وفقير، وبين رجل وامرأة حتّى يقف على جميع الجوانب التي تسهم هذه الشخصيات من خلالها في تطور الأحداث وتنوّعها، فكل ما كتبه الكيلاني من إنتاج روائي ليس عبثاً بل مقصود النوايا في تصوير الحقائق وترجمتها فنيّاً، فكل شخصية مذكورة مؤسسة البناء على رمزية معينة هي:

زمردة: مأساة مجسدة لطغيان توازن شاه.

توازن شاه: يرمز لحاكم المستبد.

عدنان بن المنذر: يرمز للشعب الصابر المحتسب، لكنه يهب لنجدة بلاده متناسبا أحزانه الذاتية.

مارسيل الفرنسي: يرمز للمخدوعين والحالمين بالأمجاد الزائفة.

لويس: يرمز للتدين الضيق، والعصبية العمياء.

ياقوته: ترمز للمرأة المناضلة في معترك الحياة.

وهذا ما ورد في مقدمة الكيلاني- أضواء على القصة- قبل سرده لملحمة السلام رواية "اليوم الموعد" موضحة قيمة إعادة بناء التاريخ في أنماط سردية متفاوتة الأحداث، ومتنوعة الشخصيات لا تخلو من توصيل الحقائق مع تغيير طفيف مبتدع في سرد وإدخال شخصيات من شأنها تحريك الأحداث لتخدم قضايا في العصر الذي يعيشه السارد، وتخدم أيضا المستقبل، فهناك قصص وحكايات تاريخية تصلح لكل زمان ومكان، لأنها تمسّ مبادئ ثابتة يؤمن بها الإنسان رغم تغير العصور وتقلّباتها.

II. سيميائية عتبات النص في رواية "اليوم الموعد":

إنّ الاختلاف والتفرد في أيّ رواية حق مشروع لكل سارد، فالتجريب الإبداعي منهج تسلكه الرواية، وتبدع فيه روايات أخرى، ولكل راوي بصمة تميّز عمله عن بقية الأعمال الروائية الأخرى، من عنوان وشخصيات وغلاف وأحداث وما يتبعه من اختلافات أخرى، وكل هذه العلامات ماهي إلاّ عتبات خارجية تحيط بمحتوى النصّ قبل لقاء القارئ به، فهي منصات خارجية تقدم النصّ الروائي في صورته الأولى وهذا ما نتطرق إليه من تحديد ملامح الروائية وعتباتها الداخلية والخارجية.

1) العتبات النصية الخارجية:

تعد العتبات الخارجية للنصّ الروائي هي تلك الشُّقرات المفتاحية التي تحدّد ملامح العمل وتميّز وجوده بين بقية الأعمال الروائية الأخرى، حيث لا يمكن الاستغناء عنها بتاتا، فهي هويته الفنية من تحديدات للعنوان، وشكل الغلاف، ومقدمة... وما إلى ذلك من ملامح أخرى، لنتفق بذلك مع الناقد "جميل حمداوي" أنّ المقصود بالعتبات المدخل التي تجعل المتلقي يمسك بالخيط الأولى والأساسية للعمل المعروض⁴

حيث لها إichاءات تكشف مضمون العمل الروائي رمزيا، فمن أول وهلة تقع عيون القارئ على العنوان، ينجذب إلى قراءة الرواية رغبة منه في معرفة مدى ارتباط العنوان بالمحتوى الداخلي لها، لذلك تنبه كثير من الروائيين إلى اختبار عناوين كفيلة تجذب انتباه عشاق الرواية في الأسواق الأدبية. وقد يكون العنوان مجرد لافتة استفزاز شعور القارئ لقراءتها، يختلف فيها المحتوى تماما عن ما كُتب على غلاف الرواية. تعد العتبات عنصرا ضروريا في تشكيل الدلالة، وتفكيك الدوال الرمزية، وإيضاح الخارج قصد إضاءة الدّاخل⁵، وروايتها المرغوب دراستها يرتبط الخارج فيها بالدّاخل ارتباطا وثيقا على عكس بعض الروايات.

1-1 - عتبة العنوان:

عناوين روايات نجيب الكيلاني واختلاف مضامينها، إلّا أنّ رواية "اليوم الموعود" لخصت تجربة وطن مستهدف، يسعى شعبه إلى رفع جميع أنواع الظلم والاستعباد والاستيطان ضد المستعمر، فالعنوان هو "أول مفتاح إجرائي به نفتح مغالق هذا النّص سيميائيا، من أجل تفكيك مكوناته قصد إعادة بنائها من جديد"⁶ واختيار الكيلاني لعنوان "اليوم الموعود" مقصود ومدرّوس منه يحمل في طياته معاني ذات دلالات إنسانية واجتماعية ودينية، تنم عن التشبع بالمعجم الإسلامي، والكيلاني أديب متشبع بتعاليم الدين الإسلامي، هادف إلى إحياء أدبيا وروائيا، فكلّ الأفكار التغريبية التي حاولت محو الهوية الإسلامية في قلوب شبابنا حفّزت الكيلاني إلى التمسك بإعادة بلورة التاريخ وصناعته من جديد روائيا، تحت مسميات روائية إسلامية نابعة من القرآن والسنة، فلا يخفى على أي ناقد دارس لمحتوى الرواية وعنوانها أن يدرك هوية السارد وانتماءه الديني، فهو الأديب الموفق في اختيار ألفاظه الإسلامية بعناية وثبات، وما العنوان الذي تعمّد تطريزه على واجهة روايته إلّا دليل على رغبة منه في الإقتباس من الآيات القرآنية الرّاسخة في مخيلته، والتي انعكست إيجابيتها على لغته، فاكتمت رواياته عناوين إسلامية خالصة، يتضح للمسرد أهدافه ونواياه في انتهاج منهج إسلامي يعزّز صورة المسلمين أديبا عكس ما تروج له بعض الروايات من إشاعات عن الإسلام فربما هذا استفزاز ظاهر حفّزه على منهجه هذا، فجعل الواجهة في الغلاف تلخص هذا الحضور الديني "فالعنوان ظاهر وبارز ومعترض، فهو أول لقاء (فيزيقي) محسوس بين

القارئ والكاتب، ففي العنوان مقصدية من نوع ما، ربّما تقود هذه المقصدية إلى مرجعية ما، ذهنية أو فنية أو أساسية أو مذهبية أو أيديولوجية⁽⁷⁾ وهذه المقصدية في رواية "اليوم الموعود" اتضح مضمونها الهادف من عنوانها.

عرّف جيرار جنيت العنوان بقوله: "مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل، وحتى نصوص، قد تظهر على رأس النصّ لتدلّ عليه وتعيّنه، تشير لمحتواه الكلي، ولتجذب جمهوره المستهدف"⁽⁸⁾ بينما يرى رولان بارث العناوين: "عبارة عن أنظمة دلالية سيميولوجية، تحمل في طياتها قيما أخلاقية، واجتماعية، وإيديولوجية"⁽⁹⁾.

فالعناوين في السرد الروائي رسائل مشفرة، تفتح ألغازها مضمونينا، فلا يحكم القارئ عليها أحكاما مبدئية قبل الاطلاع على السرد ومعرفة مدى قدرته على حلّ تلك الشفرات المقصودة الذكر وفهمها فهما أراد توصيله السارد إلى التّخبة قاصدا أهداف ومحتويات معيّنة.

وبما أنّ العنوان يعدّ "إشارة سيميائية تأسيسية، قد يدفعك إلى أن تعيد قراءة شيء كان مألوفاً لديك بل هو جزء من ثقافتك، ولكنه يُعزّيك بإعادة قراءته لأنّه يفجر فيك طاقات جديدة، وكأنّه مع العنوان يبدأ فعل القراءة ومن ثمّ فعل التأويل، ومثال ذلك عنوان ديوان درويش: "أحد عشر كوكبا" فهذا العنوان مألوف في مرجعيته الدّينية والتاريخية، لكننا حين نقرأه عنوانا لديوان شهر، فإنّنا نعيد حساباتها، وتنشط المخيلة لتربط ما قد مضى بما هو حاضر أو بما يحدث، بل قد يدفعها إلى إعادة قراءة الحدث نفسه بطرائق جديدة⁽¹⁰⁾".

وبالتالي فإنّ عمل سارد رواية "اليوم الموعود" ما هو إلّا ربط بين الماضي والحاضر وإعادة لسرد وقائع حصلت في القديم، ورغب الكيلاني في بناءها سرديا من أجل إحياء أمجادنا وعروبتنا وهويتنا ووطنيتنا، يروي لنا ما حدث في حقبة زمنية محدّدة مكانيا وزمانيا، قد تُعاد أحداثنا على امتداد وجود الإنسان على هذه الأرض.

2-1 - دلالات العنوان (القيمة الدلالية للعنوان):

إنّ جميع ما ألّفه الكيلاني لم يكتبه للتسلية والترفيه والعبث بمشاعر القارئ واستثارة غرائزه كما فعلت كثير من الروايات، فما دعي له هادف وواعي، من أجل تنوير العقول وإحياء منهج إسلامي في فنّ الرواية، فكتب في قضايا السياسية والوعي القومي و

التحرّر من قيود الطامعين وما رواية "اليوم الموعود" إلا نموذج ناطق بنواياه الصّادقة، فهو أديب مطّلع على تاريخ أجداده، وعلى ثقافات الشعوب الإسلامية الأخرى حيث حظيت جميع رواياته بدراسات نقدية فاحصة مثل رواية "عمر يظهر في القدس"، "دم فطير صهيون"، "النّداء الخالد"، "ملكة العنب"، "اعترافات عبد المتجلي"، "عذراء جاكارتا"، "ملكة البلعوطي" إلا رواية"، "اليوم الموعود" تعرضت للتميش والإهمال دراسة وتحليلاً مع أنّ رواية "اليوم الموعود" هي من أحسن الروايات التي توجت بجائزة أحسن رواية في مسابقة المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون .

(أ) - رفض الظلم والاستعباد:

يحمل العنوان كعبته نصيّة في طيّاته رسائل مشفّرة تترجم معاناة الشعوب من الظلم والقهر والفقر من حكام أوطانهم، وبطشهم وسلطتهم، لكن رغم كل تلك الضغوطات إلا أنّ الواجب الوطني حاضر في قلوبهم وسيوفهم، فرفع الدّل والهوان حلم تسعى إليه النفوس المؤمنة بقضية الوطنية، وهذا اليوم الموعود الذي ينتظره كل مواطن صالح يحب وطنه مثلما كان الحال مع شخصية "عدنان" في الرواية، تلك الشّخصية الموضوعة بعناية من السارد، فكان وضعها في الرواية والتوضيح ما تطمح إليه الشعوب، فهو رمز للضمير العربي الحيّ الذي لا تشغله المشاكل الخاصة والضغوطات الاجتماعية عن واجبه، فيكون في المقدمة عندما تتعرّض الدّولة إلى هجومات وحملات أجنبية، ففي ذلك العنوان دلالات على تقديم مصلحة الوطن عن المصالح الشخصية، وإذا أصيب الوطن بجراح العدوان تسارعت إليه أيادي شعبه في المعارك لإنقاذ وطنيته من الضياع.

(ب) - إسقاط الأنظمة الفاسدة التي تهدد استقرار مصر:

إنّ أصعب ما يهلك الأمم ويحطّمها وجود خونة في البلاط الملكي خصوصاً وإن كان هؤلاء هم رعايا الوطن مثلما فعل "ثوران شاه" ابن الملك "نجم الدين" حين أراد أن يزعزع أمن دولة مصر، ويرغب في السلطة ويعتو في بلده فساداً وظلماً، فأمثال هؤلاء يوجدون في كل زمان ومكان ومهما طال استبدادهم واستعبادهم، يأتي يوم تُرفع فيه كل هذه الظلمات عن الشعوب، وفي الرواية تحقّق هذا اليوم الذي أثمّ القضاء فيه على

نظام توازن شاه الحاكم المستبد ومات شرميته ، ليكون عبوة لمن تسوّل له نفسه خيانة وطنه.

(ج) - رفض الاستعمار الأجنبي ومقاومة حملاته:

لقد شكّلت الحملات الصليبية على مصر خطرا كبيرا، خصوصا وأنّ المستعمر مختلف الديانة عن ديانة الشعب المصري، مما تولّدت الأحقاد الأجنبية ضد المسلمين، فكانت المطامع مزدوجة في امتلاك بلاد النيل وطمس هوية شعبها الدينية، لكن رغم الصراع الداخلي والخارجي الذي واجهته البلاد إلا أنّ شعبها تأهب صامدا أمام هذه الهجمات، ليحقق ذلك النصر في يوم انتظروه بفارغ الصبر، هو يومهم الموعود بالنصر على العدو وعلى ظلم الطاغية "توازن شاه".

فالعُتبات النصّية للعنوان "اليوم الموعود" تضمّنت تأويلا يخصّ كل صراع داخلي أو خارجي بين الشعب والسلطة الحاكمة أو بين الشعب والمستعمر، فالظلم ترفضه الفطرة الإنسانية وتسعى إلى رفعه، ومتى ذلك الحين تظل تصارع وتصارع رغم استنزاف للأرواح في سبيل تحقيق هذا المطلب، فيبقى ذلك حلما منتظرا سيأتي أوانه وساعته، وذلك اليوم سمّاه السارد باليوم الموعود حيث تتحقّق فيه جميع الوعود التي يقطعها الشعب على نفسه، فيحقّقها بجميع الوسائل المباحة في الحرب.

فاختيار الكيلاني لسرد أحداث عظيمة من التاريخ المصري يحتاج إلى عنوان مناسب يلخّص هذه الملحمة الدينية التاريخية المحفوفة بالتضحيات والنضال والإرادة ورفض الظلم والاستعباد، فكان الإقتباس القرآني سبيلا من السبيل التي أنتجها السارد في عنونة أغلب رواياته، فحتى عناوين روايته طغى عليها الطابع الديني، ورواية "اليوم الموعود" من بين الروايات التي زينت بأية من آيات الذكر الحكيم من سورة البروج؛ الآية 02. وهذا مما يثبت لنا مرجعية الكاتب التي تبدو متشعبة بالفكر الديني النصوبي .

ومن هنا يمكن القول إنّ السارد وُفق في اختيار عنوان سيميائي يلخّص مضمون روايته ومحتواها التاريخي، معبّرا عن المطامح والأحلام التي عاشها شعب مناضل في سبيل استرجاع حرية الوطن في يوم عظيم، مكلل بهتافات النصر والسلام.

(د) - الروابط العاطفية الصادقة التي تجمع بين الرّجل والمرأة ونهاياتها السعيدة:

إنَّ السارد في أخلِّكَ ظروف الحرب والدِّماء والاستعباد والمعاناة والزحف الأجنبي على الأراضي المصرية، والانشقاق في الحكم والسلطة، إلّا أنَّ الكيلاني أراد أن يضيف على الرواية بصمة خاصّة، فأدخل عليها قصة حبّ جمعت عدنان وزمردة وظروف الفقر والظلم والسجن الذي تعرض له عدنان، فكان ناقما على ذلك، لكن ما كان يبعث الأمل في قلبه هو حبّه لزمردة، ودورها أيضا في تحريك أحداث السرد بتكررها في شخصية العجربة "ياقوته" لكن رغم كل هذه الظروف التي حالت دون تواجدهما معا، إلّا أنَّ حُبهما ظلَّ صامدا، وغلبت المصلحة العامة في اختيار طريق النضال والجهاد من الطرفين في سبيل استرجاع الحرية المسلوبة، فعُدنان رمز لشعب صابر محتسب، يتأهب لتلبية نداء بلاده متناسيا أحزانه وآلامه، وياقوته ترمز للمرأة المناضلة في وقت الشدائد، لكن شغفهم للقاء مرّة أخرى ليبقى حلما معلقا في ذهنيهما، ويوم لقاءهما سيكون يوما منتظرا وموعودا فالسارد وصف لنا هذا اللقاء بشوق عارم دون الإخلال بتوازن اللغة الأخلاقي "لقد اندحر الفرنجة وانتصرت مصر، وانجلت الغمّة وزال الخطر، وبقيت البلاد حرة عزيزة، وتحولت إلى مقبرة للغزاة المعتدين، (...) وعدنان سعيد بهذه النتيجة الرائعة، فرح بذلك النصر المؤزر، أمّا آماله الفردية التي تتعلّق بزمردة، وبالثأر من توازن شاه وبعودة عبد الأعلى فهذه أمور – رغم أهميتها – يجب أن تحتل المكانة الثانوية، مع ما يحسّه في نفسه من مرارة، ويطويه بين جوانحه من آلام إنّه إنسان والإنسان الحق هو الذي يصهر آماله الكبرى – التي تتعلّق بوطنه- مع آماله الكبرى – التي تتعلّق بوطنه – مع آماله الفردية في بوثقة ذاته، لكن إذا ما خير بين الاثنين، دفعه قيمه السامية ومبادئه الوطنية لأن يكون ابن قومه، وحارس مجتمعه، والمضحي في سبيله بنفسه وماله"⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق فما كان من عدنان سوى الصبر والتأهب لهذا اللقاء الذي طال انتظاره، فتفكيره منقسم بين الوطن والحببية، لكن كل تلك التضحيات والآمال لم تذهب في مهبّ الرياح، بل كلّلت بنصر عظيم على ظلم توازن شاه وطرد العدو من مصر تكبيده خسائر فادحة، ليرسم لنا الكيلاني صفاوة هذا اللقاء قائلا: "وعندما توارت الشمس، وبدأ الليل ينشر زواقه على منصورة وما جاورها، رأى عدنان قافلة تقبل

بمحاذاة النيل على مدى البصر، فأسرع بجواده إلى هناك ورفع عينيه ليرى عبد الأعلى في مقدمة الركب ... وأطلت ياقوته من فتحة صغيرة ... لحظات خاطفة، ولكنها غاصة بالمشاعر والانفعالات العديدة⁽¹⁾ وكلمات العنوان جمعت لقاءات منتظرة وأيام موعودة في زاوية واحدة تخصّ الوطن أولاً والمحبة ثانياً والصديق ثالثاً، والعنوان لخصّ كل هذه الزوايا المهمة في حياة الإنسان، فكل هذه المفاتيح لا يتسنى للقارئ استيعابها من عنوان مشفر إلا بقراءات متعدّدة للرواية، فالملاحم التاريخية تحتاج إلى عناوين صاخبة تليق بوقائعها العظيمة، وما نجاح العمل إلى حدّ ما وحصوله على جائزة المجلس الأعلى للآداب والفنون إلا تكريماً لقيمة العمل الروائي الذي أنتجه الكاتب قلباً ومضموناً، " فقد يكون العنوان عاملاً من عوامل نجاح العمل الأدبي وانتشاره جماهيرياً وقد يكون سبباً في فشله، فمن الكتب ما كانت عناوينها سبباً في انتباه القراء إليها، نظراً لما تميّزت به تلك العناوين من جودة في الصياغة وطرافة في التركيب، ومن الكتب ما عابتها عناوينها الغامضة أحياناً والساذجة أحياناً أخرى"⁽¹¹⁾.

3-1 - عتبة الغلاف:

يعد الغلاف هو الواجهة الإشهارية لأي عمل روائي، ففي تلك الأغلفة التي تطبعها دور النشر على الروايات إحياءات تتجاسر في مضمونها وتشارك مع ما هو موجود في طيات الرواية، فالروائي عندما يُتمّ عمله كأديب يقصد دور النشر المتعاقد معها لترويج لروايته، فلا يغفل عن واجهة الغلاف فيختارها بعناية وتركيز بالاستعانة بلوحات تشكيلية أو مناظر طبيعية ساحرة تتناسب ومضمون الرواية أو هي واجهة إعلامية وترويجية لاقتناء الرواية وتحفيز مبيعاتها في الأسواق " فالغلاف ومكوناته يعدّ المدخل الأول لعملية القراءة، باعتباره اللقاء البصري والذهني الأول مع الكتاب يتم عبر هذه المكونات وما تحمله من دلالة مؤطرة للنص، سواء في سياق النوع الأدبي أم في سياق المؤسسة الأدبية"⁽²⁾.

ولذا تعتبر لوحة الغلاف ما هي إلا صورة فنية تحمل دلالات ورموز يصعب على الكثير فهمها، تمدّ حامل الرواية الاستفسار عن سببية وجود هذه الصورة على الغلاف،

ومدى ارتباطها بالعنوان والمضمون النصي، فكثير من اللوحات الفنية التشكيلية تعبر عن الكثير من المعاناة أو الألم أو السعادة، فنظره هواة الفن التشكيلي يفهمون من الأول فُرجة ما تحتويه اللوحة من إيماءات تعبر عن واقع ما، فما استعانة الكتاب بالفنانين التشكيلين إلا لأسباب مزدوجة تصف الحال من المحال، وتختلف بذلك قدرة كل لوحة على إظهار كينونة الرواية وتفاصيلها، فما قد تعجز عنه الكلمات تصوره الرسومات التشكيلية بأدق التفاصيل، فتصيب بسهامها فهم الناظر إلى لوحة الغلاف. فالغلاف يحفز حامل الرواية إلى اقتناءها، حيث تتسارع دور النشر على الترقية من مؤلفاتها حتى ترقى إلى المستوى الذي يجلب انتباه القارئ إلى أخذ أكبر عدد من المؤلفات المروّج لها في المكتبات والمعارض الدولية والمحلية.

4.1 - قراءة في غلاف رواية "اليوم الموعود":

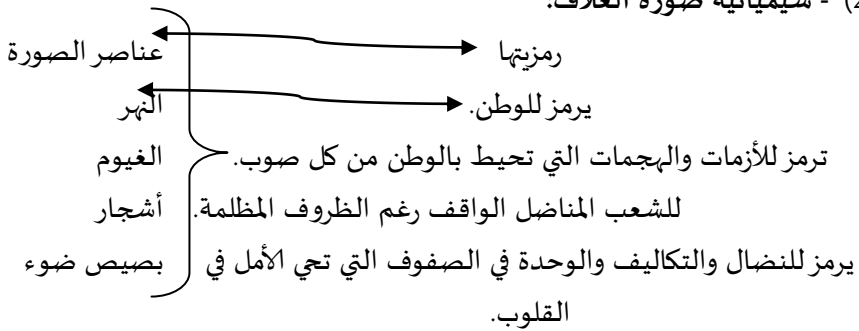
يحتوي غلاف الكتاب معظم المعلومات التي تشكل لوحة أولى للنص المحكي، وأول أسس التعامل من المنجز الإبداعي، إذ يتضمن: عنوان الكتاب، اسم المؤلف، لوحة الغلاف، دار النشر وسنة النشر، والتعيين الأجناسي، وقد يتم أحيانا الاستغناء عن بعض هذه المعلومات (...) ولكن لا يمكن الاستغناء عن التفاصيل الأخرى كعنوان الكتاب واسم المؤلف ولوحة الغلاف⁽¹²⁾.

أ - الألوان:

وبما أن دراسة الغلاف لأي كاتب لا بد وأن تسبقه لوحة زيتة تحمل بعدا بنوراميا من جهة، ولذلك يبدو لنا من جهة أخرى غلاف الرواية يحمل مزيج من الألوان الباهتة التي تجمع بين اللون البني والأسود واللون الزيتوني، ألوان بُصمَت بها جميع رواياته، كتب فيها عنوان بخط عريض أبيض أسفل الغلاف، بينما يعتليه صورة لمنظر طبيعي تحيط به الأشجار من كل صوب في يوم مظلم غائم، ينبعث من تحت تلك الغيوم بصيص من النور الذي يبدو وكأنه بريق أمل يحمل إيماءات محددة، وأشجار رغم خضرتها يغطيها ظلام قاتم، تظهر منها بعض الشجيرات الذابلة، وذلك البصيص من الضوء ينبير مكانا معيناً من ذلك النهر، وكأنّ في المنظر إيماءات بمحن تصيب موطنها ما، وسرعان ما يأتي الفرج من بعيد يحمل في طياته الأمان والارتياح والسعادة، وكأنّه مكان أحاطت به اللغة من كل صوب، لكن شعبه الصالح ينقد المكان بنضاله وعزيمته

من لغنة الدّمار والخراب الذي سيحلّ بالوطن لو دخل العدو البلاد واستوطن مدنها الشّامخة ويحاول طمس تاريخها العريق وهويتها الفرعونية، فما تحويه الصورة بظلامها وألوانها الباهتة وجملة الإنطواءات والانكسارات التي تُفهم من إلقاء أوّل نظرة عليها وضعت لتعبر عن نهر النيل الذي يعدّ أحد أشهر الأنهر في العالم، ويرتبط اسمه ببلاد الأهرامات، فكل وقائع الزحف التي شنتها الحملات الصليبية على مدن مصر اقترنت بالنيل، فاختيار الكيلاني لهذا المنظر الطبيعي كلوحة للغلاف لم تكن من عبث، بل حملت في طيّاتها قصة كفاح عظيم ضد العدوان الأجنبي على أراضي عربية دينها الإسلام ومنهجها التوحيد.

(2) - سيميائية صورة الغلاف:



إنّ تداخل الألوان في الصورة المعبرة عن ما يوجد بالرواية يجعل القارئ في حالة من الغموض والضيق خصوصا وأنّ الألوان المعتمدة في الرواية ألوان فاقدة للحياة، لكن الضوء الخافت المنبعث من تحت الغيوم المتراكمة لا يبعث الأمل في الصورة فقط، بل يبعث الأمل في نفس القارئ، ونجد هذا التشابه حاضر حتّى في رواياته الأخرى، فأغلفة الكثير من رواياته تحمل صورا مختلفة ومتنوعة لا تستغني عن نور منبعث من بعيد، ففي رواية "كفر الطماعين والعلم نور" صورة لكتاب مفتوح وأمامه شمعدان ينير الكتاب، ونجد أيضا ذلك في رواية "النداء الخالد" صورة لشجرة يابسة تتوسط نهرا ويضيء عليها صبح قادم بشمس مشرقة من بعيد، ليتجدّد هذا الحضور أيضا في رواية "حارة اليهود" بصورة لمباني شامخة عملاقة ومصباح واحد ينير أحد أروقها الضيقة، لنجد نفس التشابه في الرواية "ليل وقضبان" بنور متخفي بغيوم في السماء، وهذا النور حاضر في رواية "ليالي السهاد" ورواية "مملكة البلعوطي" لكن بصور وديناميكيات

مختلفة. كل هذا الاشتراك في صور أغلفة الروايات فإنّما يدلّ على وجود أمل ونهاية سعيدة في كل قصة يكتبها الكيلاني، فرواياته تختتم بنهاياتها سعيدة ومشركة. ونجيب الكيلاني روائي كتب في جميع الفنون النثرية بنهم، وكان منهجه معروفا بين أقرانه في عصره، فهو أول روائي إسلامي، حيث قدم للمكتبة العربية عدد كبيرا من الروايات والقصص القصيرة الحاملة للتصورات الإسلامية ليسهب في تنوع مواضيعها وأمكنتها وأزمنتها، فلا يخفى على أي قارئ لرواياته كمية الرصيد اللغوي الإسلامي الذي يوظفه الكيلاني في رواياته والآيات القرآنية التي يستهل ويبرز ويختتم بها سرده، مبرزاً الجانب الروحي والدّيني في الشخصية، بالإضافة إلى بذله جهداً كبيراً في التنظير للأدب الإسلامي والتعريف به في كتبه وبحوثه، فالواقعية الإسلامية في رواياته تخدم القضايا الإنسانية الكبرى التي تهتم بالإنسان المسلم، متغافلة عن سرد كل م هو غير أخلاقي لأجل أسباب غريزية أو تسويقية. كل هذه المؤشرات ساهمت في عملية التهميش والإهمال التي تعرّض لها الكيلاني في عصره على نقيض أدباء عصره الذين كان لهم شهرة ومكانة على أوسع نطاق أمثال نجيب محفوظ. لذلك فإن القارئ بمجرد اطلاعه على اسم المؤلف الكيلاني على واجهة رواياته يعلم أن السارد له منهج يحدوه في رواياته.

(3) - عتبة الخطاب التقديمي:

إنّ اهتمام الدّراسات النقدية بالخطابات التقديمية التي تصدر المتن السردية ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها خصوصاً وإنّ ركز السارد في ذلك الخطاب على توضيح أهمية العمل الذي يقدمه، وأبرز أهمّ النقاط التي تفصّل اهتمام المؤلف بمضمون روائي معيّن أو نوع أدبي محدّد أو تفسير ظاهرة اجتماعية بارزة في مجتمع، فالخطاب التقديمي للرواية هو عتبة مفتوحة تقدّم النصّ في صورة واضحة خالية من الغموض، وتنبه الكيلاني إلى ذلك وقدّم لنا مفهوماً دقيقاً حول القصة، وربطها بالتاريخ، فالموضوع المتناول في الرواية يندرج ضمن الرواية التاريخية التي حضيت بحصة الأسد في رواياته، قائلاً: "القصة التاريخية عمل أدبي ثري يحتاج إلى مزيد من الدقة والبراعة، لأنّ التاريخ يمدنا بالوقائع الثابتة، ويفرض عليه روحه وأجواءه الخاصّة، وصياغة التاريخ في قصة يخرج به عن كونه علماً جافاً، ويدرجه ضمن باب الفن الذي يتمتع ويثير"⁽¹³⁾.

وبناء على ذلك فإنّ تركيزه على الخطاب التقديمي عنده أهم من الإهداء وعبارات التصدير المقتبسة من التراث العربي أو الأجنبي، فما تقديمه لهذا الخطاب إلاّ لإيمان مطلق في نفسه بأهمية التعريف بالرواية التاريخية، وتصويرها لملاحم ثرائية عظيمة مبينا من خلال دراسته " للحملة الصليبية السابعة وملاستها، أنّ مصر لم تكن تخوض حربا واحدة، وهي صراعها مع المعتدين، ولكنها في الوقت نفسه كانت تخوض معركة مريرة ضد الطغيان الداخلي ... فكانت المعركة الّذي يخوضها الشعب داخلية وخارجية في الوقت نفسه"⁽¹⁾.

وما يفهم من هذا التّصريح المباشر أنّ الكيلاني روائي لا يكتب في المواضيع المسلّية نكرة الأهداف، بل ما يصبو إليه نقل معاناة وطن هو جزء منه، مصور لقصص الكفاح والنضال في مصر في تلك الحقبة، مبرزاً التجانس بين التاريخ والفن وقدرته على توصل الحقائق في صورة فنية سردية بالإضافة إلى أن هذا التقديم الخطابي لا يصدر من روائي مثقف وواعي بما يقوم بسرده، فمن المؤكد أن له دراية كاملة بتلك الوقائع في زمانها، وهذا الطرح تبرزه جملة المراجع التاريخية المعتمدة قبل نسجه لأحداث الرواية ومنها :

01-لويس التاسع في الشرق الأوسط، الدكتور جوزيف نسيم يوسف.

02-معارك حاسمة في تاريخ مصر، عبد الرحمن زكي " دمياط والمنصورة ".

03-الشرق العربي بين شقى الرجى، الدكتور حسن حبش.⁽²⁾

ومنه كلّ هذا الكم الهائل من المراجعيات التي اعتمدها الكيلاني في نسج و سرد روايته يثبت إطلاع السارد وثقافته الواسعة على تاريخ مصر العريق، فالسرد عنده لا ينطلق من عبث، بل يندرج ضمن السرديات الهادفة التي توظّف التاريخ في قوالب روائية، وما تركيزه على الخطاب التقديمي إلاّ توضيح لنواياه السردية وحبا منه لتناول الملاحم بجميع أشكالها، وتشجيعا للرواة على السرد التاريخي الهادف، وكلّ الشّخصيات المستوحاة من المراجع التاريخية أو الشّخصيات الّتي تعتمد وضعها لإحياءات لمعاني مقصودة من السارد، وما جاء في آخر الخطاب التقديمي يثبت ذلك قائلا :

هذه الرواية قوله الذي يصحربه ولهذا: "تراني لم أسجل حادثة من الحوادث أو أبرز شخصية من الشخصيات أو أجري حواراً، إلا وكان لذلك هدفاً وغاية كبيرة، فهل تراني بلغت ما أريد؟ أرجو ذلك" (1).

ومن هذه المنطلقات الفكرية التي تعتمدها المناهج الما بعد الحداثة عند النقاد المعاصرين وخاصة جميل حمداوي الكاتب المغربي يصلح عليها بشعرية النص الموازي كونه يرى أن كل شكل أو قالب يتم تصميمه في الرواية يعتبر عتبة في العمل الإبداعي الفني، ولهذا تعد عتبة الخطاب التقديمي لرواية طريقاً مختصراً يتم من خلاله العبور إلى مضمون الرواية بتصورات أكثر وضوحاً ومصداقية لا تجعل القارئ يغيب عن الفهم الصحيح للطرح الروائي عند الكيلاني، فأغلب الرواة تفوتهم هذه العتبة فلا يفصحون عن نواياهم الروائية إلا بجهد جهيد من القارئ ومدى قدرته على استيعاب ما يقصده الراوي، وهذا التقديم يؤثر على طريقة تعامل القارئ مع الرواية بمعنى أنه التصور الذي يسبق السرد، إن تخصيص رواية "اليوم الموعود" بالخطاب التقديمي ميزها روئياً عن بقية رواياته مع أن جميع سردياته ذات قيمة فنية ومضمونية هادفة، فهذه الملحمة ربما احتاجت في نظره خطاباً يُقدمها كرواية تاريخية تخلد الكفاح والنضال في وطنه الأم مصر، فتسميتها بياقوتة الحب والسلام زاد من قيمتها أكثر، وحصولها أيضاً على جائزة من البلد الأم بأحسن رواية في مسابقة المجلس الأعلى.

4. خاتمة:

ومما سبق ذكره والتطرق إليه في موضوعنا هذا الذي ينطلق فيه صاحبه من المرجعية الدينية والتي لهذا بقصص كونية ذكرت في النص القرآني وأسس لها بناء على مفاهيم قبلية فقد كانت هذه التسمية ليست إعتباطية بقدر لها من معقبات تخلفها. ولهذا يبدو لنا ما جاء في سرد الكيلاني يتوافق فيه المضمون مع العنوان، فاختياره كان موفقاً في الاقتباس القرآني كعنوان لروايته، لتوضح المقدمة أهم النقاط التالية:

01- الانتماء السرد في روايته يندرج ضمن حيز الرواية التاريخية وإبراز أهمية إعادة سرد التاريخ ودمجه بالفن لإضفاء صبغة الأدب الهادي.

02- تثمينه لفكرة نقل الحقائق التاريخية، وضرورة تنظيمها سردياً حتى يظهر المغزى منها.

03-تغليب الجانب الإنساني في سرد أحداث الرواية جانب دعا إليه الكيلاني حتى يصبح السرد أكثر عمقا وتأثيرا.

04-توضيحه أنّ الشخصيات المختارة في عمله نتاج وعي دقيق بأهمّ النّقاط والقضايا التي يؤمن بها، مستخدما الرّمزية في شخصياته.

فمن المؤكد أنّ القارئ للرواية دون الاطلاع على مقدمتها يجعل العمل ناقصا غير مكتمل الفهم في تصوره، فتركيز السارد على تنظيم أفكاره الهادفة، والحاجة على إقناع قارئ المقدمة يثمن مرجعيته اتجاه العمل الروائي، وهذا التركيز واضح الأهمية في مقدمته التي أغنته عن الإهداء والتصدير، فالإيمان بأفكاره ومبادئ معينة يجعل النمط السردى عند مؤلف ما متفردا عن بقية الأعمال الروائية الأخرى.

5. الهوامش:

- 1/- نجيب الكيلاني، اليوم الموعود، دار الصحة، ط 1، القاهرة، 2015، ص.3.
- 2/- نجيب الكيلاني، اليوم الموعود، ص.5.
- 3/- نجيب الكيلاني، اليوم الموعود، ص.6.
- 4/- جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مج:625، ع:3، عالم الفكر، الكويت، 1997، ص.102.
- 5/- جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، ص.109.
- 6/- جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، ص.107.
- 7- بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، ط1، عمان، 2001، ص.31.
- 8- جبرار جنيث، ت: ناجي مصطفى، عتبات من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف ، ط1، الجزائر، 2008، ص.67.
- 9- جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة، ص.99.
- 10- بسام قطوس ، سيمياء العنوان، ص.36.
- 11- نجيب الكيلاني ، اليوم الموعود، ص.208.
- 12- نجيب الكيلاني اليوم الموعود، ص.220.
- 13- كمال الرياحي، الكتابة الروائية عند واسيني الأعرج، منشورات كارم الشريف، ط 1، تونس، ص.24.
- 14- عبدالله الخطيب، النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص.17.
- 15- نقلا عن: سهام السامرائي، العتبات النصية، دار غيداء، ط1، العراق، 2016، ص.44.
- 16- ينظر: مقدمة رواية نجيب الكيلاني ، ص.3.
- 17- نجيب الكيلاني ، اليوم الموعود، ص.6.
- 18- نجيب الكيلاني ، اليوم الموعود، ص.227.
- 19- نجيب الكيلاني ، اليوم الموعود، ص.7.